تكوين المترجمين في الجامعة الجزائرية

أ. د. زبير درّاقي

وحدة البحث لتطوير اللغة العربية – تلمسان

من المعلوم أنّ الترجمة نشأت في بدايتها لدواعي التواصل بين الناس الذين كانت ألسنتهم تختلف من جنس إلى آخر في مختلف أنحاء المعمورة. فالتعدّد اللغوي سمة من سمات البشرية، فبعضهم يعود به إلى الطوفان في عهد **سيّدنا نوح** – عليه السلام – وما حدث من تفرّق أبنائه جغرافياً، بحيث علق كل واحد منهم بلغة من اللغات التي كان يعرفها دون سواها، وآخرون يردّونه إلى **أسطورة بابل** وما حدث على إثرها من تبلبل الألسنة واختلافها، جزاء على محاولة التطاول، ببناء برج عال في السماء، على الله عزّ وجلّ.

ومنذ ذلك الوقت، ظهرت الحاجة إلى استعمال الترجمة ليتمّ التواصل بين الأقوام والشعوب، ثم تطوّرت في عهد الرومانيين لتصير أداة لنقل آداب الإغريقيين، ومعارفهم، وعلومهم وحضارتهم الزاهية. وخير مثال على ذلك الخطيب الروماني **شيشرون** الذي يُعدّ الأب الروحي للترجمة المعنوية.

كما عرفت الترجمة أوج ازدهارها في كنف الحضارة العربية الإسلامية، إذ نقل علماؤها كل التراث الحضاري القديم لليونان والفرس والهند، فصارت علوم الأوائل معروفة لديهم من فلسفة، ومنطق، وطب، وفلك ورياضيات. ولم تخل الآداب من اهتمام المترجمين العرب، حتى لو كان بعضها وثنياً مثل الأدب الإغريقي. وقد برز عند العرب مترجمون بارعون في شتى اللغات، كما يذكر ذلك **ابن النديم** من القرن الرابع الهجري في (**الفهرست**) الذي أورد فيه أسماءهم وعناوين ترجماتهم. ولعلّ خير ما دلّ على المكانة التي وصلت إليها الترجمة عند العرب، في عهد الخليفة العباسي **المأمون**، هو إنشاء (**بيت الحكمة**) التي أُوكِل لها، بوصفها مؤسسة أكاديمية رسمية، نقل تراث الأمم الأخرى المعنوي للاستفادة منه في بناء حضارة جديدة.

أمّا في العالم الغربي، فإنّ الترجمة واكبت جميع العصور، بدءاً **بـالقرون الوسطى** التي نقل فيها **القرآن الكريم**، ثم تواصلت مع **النهضة** الأوروبية، وتقوّت أكثر في عصر النور والتنوير وما بعده، إذ تُرجمت كثير من الآداب الأوروبية، ولاسيما الأنجلوساكسونية التي كانت مجهولة في أوروبا الوسطى.

ولئن كانت الترجمة في بداية أمرها فنّاً فرديّاً (**Art de traduire**) يستهوي العارفين باللغات، باعتبارهم وسطاء أو وكلاء بين هذا الأدب وذاك، وقد اشتهر منهم في فرنسا **فولتير**، و**السيدة دي ستال**، و**بودلير** وغيرهم كثير، فإنّ الترجمة تحوّلت في القرن العشرين إلى علم (**Science de traduire**) قائم بذاته له رجالاته مثل **هولماس**، و**مونان**، و**نايدا** و**كاتفورد** وله مدارسه كالمدرسة الفرنسية والمدرسة الروسية، وله نظرياته كالنظرية المعنوية والنظرية الغائية.

والحق أن ظهور اللسانيات المعاصرة هي التي ساعدت الترجمة على إيجاد طريقها نحو العلمية في المناهج وفي الأساليب والآليات التي يلجأ إليها المترجم لنقل، على أحسن وجه، ما تيسّر له من نصوص أدبية وعلمية على اختلاف أنواعها ومجالاتها.

وكغيرها من العلوم الإنسانية الحديثة، فقد استقطبت الترجمة اهتمام المؤسسات العمومية والخاصة، ففُتحت معاهد وأقسام خاصة بتدريس اللغات (كالمدرسة الشرقية بباريس) والترجمة في كثير من الجامعات الغربية والشرقية، لتكوين أقلام متخصّصة في الترجمة ونقل معارف الآخرين. وهكذا صارت الآداب، التي تنحو نحو العالمية، تُنقل إلى سائر اللغات ليطّلع عليها جميع القراء في لغاتهم الأصلية. وما نَقْل معاني **القرآن الكريم** إلى كثير من لغات العالم إلّا خير شاهد على ذلك. وبفضل تطوّر الوسائط الإلكترونية والمعلوماتية، فإن الترجمة الآلية غدت في بعض المواقع المعروفة سبيلاً ميسّراً للوصول إلى المعارف والعلوم، حتى الدقيقة منها، فلا تتطلّب إلّا معرفة الحاسوب والبرامج للحصول عليها بأقلّ جهد وأقلّ تكلفة.

وقد تفطّنت الجزائر إلى قيمة الترجمة في الحياة العلمية والاقتصادية، فأنشأت لها في بداية الاستقلال معهداً خاصاً بها في الجزائر العاصمة، ثم فُتحت معاهد أخرى فيما بعد. وفي بداية الألفية الثالثة دخلت الترجمة بصفة رسمية إلى الجامعة الجزائرية، ففُتحت أقسام خاصة بها في مختلف الجامعات، وأُعدّت لها مقاييس وبرامج لتكوين الطلبة والطالبات الراغبين في تخصّص (ترجمة)

والحاصلين على معدّلات معيّنة في اللغات في شهادة البكالوريا. وهو تكوين يبدأ من الليسانس في أربع سنوات، فالماجستير في سنتين (أولاهما نظرية والثانية في إعداد المذكّرة) وينتهي بالدكتوراه في أربع سنوات. ولعلّ ما كان يميّز هذا التكوين المتخصّص جزأرة إطاراته وإتاحة للمتكونين فرص العمل في الإدارات والمؤسسات الاقتصادية والسياحية، وحتى فتح مكاتب معتمدة في الترجمة.

تكوين المترجمين في التدرّج للحصول على شهادة الليسانس

1- من هو المترجم؟

للتعريف به هو الطرف الثالث و**الوسيط** (**Intermédiaire**) بين لغة وأخرى، أي بين ما يسمّيه المختصّون **اللغة المصدر** (**Langue-source**) و**اللغة الهدف** (**Langue-cible**). وهو شخصية فريدة جداً متميّزة أشبه ما يكون بهمزة وصل أو جسر بين اللغات. وعلى أساس هذا التميّز لابدّ أن يكون تكوينه ملائماً لطبيعة المهام التي سيقوم بها على أكمل وجه ممكن. ولذلك ينبغي عليه أن يكون إمّا **مزدوج اللغة** (**Bilingue**) على الأقلّ، وإمّا **متعدّد اللغات** (**Plurilingue**) وهو الأفضل.

2- ماهي عُدّة المترجم؟

لكل عالِم، في أيّ علم كان، عُدّته الخاصّة به. وتتمثّل عُدّة المترجم في وسيلتين أساسيتين لابدّ أن تكونا في حوزته على الدوام، وهما:

أ- معرفة اللغات :

هي **أول وسيلة** ونعني بها معرفة لغتين فأكثر، معرفة جيّدة تكون أشبه بمعرفة **اللساني** (**Linguiste**) للألسنة. فالمترجم ينبغي أن يكون ذا إلمام دقيق بخصائص اللغات، دارياً بأساليبها، وتراكيبها، ومعانيها، ومفرداتها وعباراتها - لاسيما التي تجري مجرى الأمثال - وما فيها من اختلافات ومماثلات أو تباعدات وتقاربات حتى يسهل عليه إيجاد المكافئات مبنًى ومعنًى بدون إلحاق الضرر بالنص المترجم أو النأي به عن فحواه ومجراه، مضموناً وشكلاً.

ب– التزوّد بالثقافة العامة :

هي **ثاني وسيلة**. وتكون هذه **الثقافة العامة** (**Culture générale**) مكينة وشاملة، بحيث تتعدّى العلوم الإنسانية إلى العلوم الأخرى – وما أكثرها! – بالإضافة إلى المعلومات التي لها علاقة بحياة عصره (كالمعلومات الجوية، والبيئية، والإعلامية، وغيرها). وليس ضرورياً أن يكون ذلك دقيقاً دقّة ذوي الاختصاص، ولكن لابدّ من الإلمام بالثقافة الإنسانية قديمها وحديثها (أي الأخذ من كل شيء بطرف)، حتى لا يتحجّج المترجم أو يتذرّع **بعدم الاختصاص** (**Non-spécialisation**) إن عُرض عليه أيّ نص أو وثيقة للترجمة.

3– كيف يكون تكوين المترجم؟

نظراً لـ**خصوصية** (**Spécificité**) **العمل** الذي يقوم به المترجم وتنوّعه، بوصفه **قارئاً** أوّلاً (**Lecteur**) لما سيترجمه – والقراءة تطرح مشكل الفهم والاستيعاب – و**ناقلاً** ثانياً (**Traducteur**) بين اللغات، وجب أن يكون **تكوينه** (**Formation**) بشكل **مميّز** حسب المحاور الآتية:

أ– التكوين اللغوي :

أو **الأداتي**: يتمّ عن طريق تخصيص، طوال سنوات **التدرّج** (**graduation**)، حصص معتبرة للغات المعتمدة بدءاً بـ**إعادة التأهيل اللغوي** في بداية التكوين (**Remise à niveau**)، ثم الانتقال نوعياً إلى تكثيف مستوياته تدريجياً للارتقاء به إلى ما هو أحسن وأفضل. ويُسمّى ذلك **تحسيناً لغوياً** (**P.S.L**) يكون الغرض منه تنمية **الزاد** و**الحس اللغويين** وتحسين **الأداء** (**Performance**) إلى حدّ الإحاطة بخبايا اللغات ودقائقها، أو كما يُسمّى بـ"**عبقريّة اللغات**" (**Le génie des langues**) التي قد لا تكون متوفّرة عند **المتدرِّج** (**Graduant**). ويهدف التحسين اللغوي إلى أن يصير المتدرِّج في مستوى صاحب اللغة أو اللغات المستهدفة، أي أن يحصل على **الكفاءة** (**Compétence**)، بالإضافة إلى لغته هو، من حيث النطق والعفوية والتحرير على السواء، مع التحرّر من الاستعمال المفرط للقواميس متعدّدة اللغات وهيمنتها.

ب– التكوين التقني :

أو **التخصّصي**: يتمّ فيه التركيز على **علم الترجمة** أو **الترجمانية** (**Traductologie**): تاريخه، ومبادئه، وتقنياته، ونظرياته، ومناهجه ومدارسه، ليكتسب المتدرِّج بذلك **مادة تخصّصه** على غرار التخصّصات الأخرى.

ج– التكوين المعرفي :

يُركَّز فيه على الثقافة الإنسانية العامّة التي هي المادة الخام، ومنها حضارات اللغات المدرّسة (تاريخ – وآداب – وفنون) بالاختصار على ما هو أهمّ، والعلوم الرائجة والعصرية (كالعلوم الاجتماعية – واللسانية – والاتصال) وكذلك الإعلام الآلي باعتباره أحدث وسيلة للتعلّم والبحث.

د– التكوين التطبيقي :

أو **الممارساتي**: ويُركَّز فيه على فعل الترجمة تدريجياً من الكلمات والعبارات إلى النصوص بأكملها، من قصيرها إلى طويلها، ومن أسهلها إلى أصعبها وأكثرها تعقيداً شكلاً ومضموناً، ومن الترجمة الشفوية أو الفورية إلى الترجمة التحريرية، مع تنويع المادة المترجمة من الأدبية إلى التِّقانية كالنصوص الإدارية، والاقتصادية، والقانونية، والإعلامية، والإشهارية، والسياسية والعلمية (نماذج من أبجديات العلوم الدقيقة – والطبيعة – والطبية والفلكية) بما يتناسب مع **التبسيط العلمي** (**Vulgarisation scientifique**).

فـ**التدريب** الدائم على فعل الترجمة، في السنوات الأربع، هو الذي يولّد **ملكة الترجمة** و**الاحترافية** (**Professionnalisme**) بدلاً من الموهبة لدى المتدرِّج. وكما يقول المثل الفرنسي:"بالتَّطْريق يصير المرء طرّاقاً" (حدّاداً)، لأنّ الترجمة ليست علماً يُؤخذ من الكتب (**Science livresque**)، وإنما هي **علم ميداني** يتمّ عن طريق **الممارسة المستمرّة** فعلاً وتطبيقاً، حتى يكتسب المترجم **الإواليات** الضرورية على شاكلة إواليات الحساب الذهني.

هذا هو حال أو واقع تكوين المترجمين في الجامعات الجزائرية. وإذا نحن استعرضنا المواد أو المقاييس المدرّسة لهم في السنوات الأربع، بحسب طبيعتها كما نصّ على ذلك القراران الوزاريان المؤرّخان في 15-10-2000 وفي 26-02-2002، حصلنا على الجداول الآتية:

4- جداول توزيع المواد :

أ- السنة الأولى :

المواد النظرية	مواد التثقيف	مواد التحسين اللغوي	مواد التطبيق	الحجم الساعي
لا شيء	151- مدخل إلى اللسانيات 152- حضارة عالمية 153- مدخل إلى العلوم الاجتماعية	111- تطبيق منهجي للعربية 121- تطبيق منهجي للفرنسية 131- تطبيق منهجي للإنجليزية	141أ- ترجمة عربي-إنجليزي 141ب- ترجمة إنجليزي-عربي 142أ- ترجمة عربي-فرنسي 142ب- ترجمة فرنسي-عربي	24 ساعة أسبوعياً
	3 مقاييس	3 مقاييس	4 مقاييس	10 =

ب- السنة الثانية :

المواد النظرية	مواد التثقيف	مواد التحسين اللغوي	مواد التطبيق	الحجم الساعي
لا شيء	212- حضارة عربية إسلامية 222- حضارة فرنسية 232- حضارة بريطانية 251- نظرية اللسانيات 252- مدخل إلى علوم الاتصال	211- تطبيق منهجي للعربية 221- تطبيق منهجي للفرنسية 231- تطبيق منهجي للإنجليزية	241أ- ترجمة عربي-فرنسي 241ب- ترجمة فرنسي-عربي 242أ- ترجمة عربي-إنجليزي 242ب - ترجمة إنجليزي-عربي	22 سا و30 د أسبوعياً
	5 مقاييس	3 مقاييس	4 مقاييس	12 =

ج- السنة الثالثة :

المواد النظرية	مواد التثقيف	مواد التحسين اللغوي	مواد التطبيق	الحجم الساعي
311- نظرية الترجمة 312- تقنيات الترجمة	361- مدخل إلى الإعلام الآلي	331- تحسين لغوي عربي 332- لغة التخصص عربية 341- تحسين لغوي فرنسي 342- لغة التخصص فرنسية 351- تحسين لغوي إنجليزي 352- لغة التخصص إنجليزية	313أ- ترجمة عربي-فرنسي 313ب- ترجمة فرنسي-عربي 314أ- ترجمة عربي-إنجليزي 314ب - ترجمة إنجليزي-عربي 321 - ترجمة عربي-فرنسي وفرنسي-عربي (شفوية) 322 - ترجمة عربي-إنجليزي وإنجليزي-عربي (شفوية)	22 سا و30 د أسبوعياً
مقياسان (2)	مقياس (1)	6 مقاييس	6 مقاييس	15 =

د- السنة الرابعة :

المواد النظرية	مواد التثقيف	مواد التحسين اللغوي	مواد التطبيق	الحجم الساعي
442- منهجية الترجمة	441- مدخل إلى الإعلام الآلي	411- تحسين لغوي عربي 412- لغة اختصاص عربي 421- تحسين لغوي فرنسي 422- لغة اختصاص فرنسي 431- لغة اختصاص إنجليزي	451أ- ترجمة فرنسي-عربي 451ب- ترجمة عربي-فرنسي 452أ- ترجمة عربي-إنجليزي 452ب - ترجمة إنجليزي-عربي	17 ساعة أسبوعياً
مقياس (1)	مقياس (1)	5 مقاييس	4 مقاييس	11 =

5- النتائج :

يتّضح لنا من الجداول ما يأتي:

1- إنّ عدد المقاييس النظرية ضئيل جداً، وهو 3/49 ، أي بنسبة 0,6% .

2- إنّ عدد مقاييس التحسين اللغوي ومقاييس التطبيق في تساو، وهم 17/49 و18/49 ، أي بنسبة 34,7% و 36,8% ، أي 1/3 لكليهما و2/3 لهما معاً.

فالتركيز تمّ إذاً على المستويين التطبيقي والتحسين اللغوي، مع فارق ضئيل بينهما.

6- الاقتراحات :

1- من الأفضل إعادة توزيع المواد النظرية والتثقيفية بالتساوي على السنوات الأربع لتفادي الضغط على سنة دون أخرى.

2- من الأفضل إعادة توزيع جزء من المواد الكلية لتخفيف الضغط على السنة الثالثة (16 مقياساً)، مقابل (10 مقاييس) في السنة الأولى.

3- لا أثر لـ**تربّص عملي** (**Stage pratique**) للمتخرّجين، ويجب التفكير في إدخاله على مستوى السنة الرابعة لدى مكاتب المترجمين المعتمدين أو لدى الإدارة والشركات العمومية والخاصة.

4- لا أثر لـ**مخبر اللغات** وهو ضروري ومفيد جدّاً في مقاييس التخصّص اللغوي، لاسيما بالنسبة إلى الفرنسية والإنجليزية وهما لغتان أجنبيتان.